



شيء من الوفاء

من أفكار المرجع الراحل آية الله العظمى
السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس الله سره)

رضي منصور العسيف

شياء من الوفاء

من أفكار المرجع الديني آية الله العظمى
السيد محمد الحسيني الشيرازي

الطبعة الأولى
١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م
جميع الحقوق محفوظة للناشر



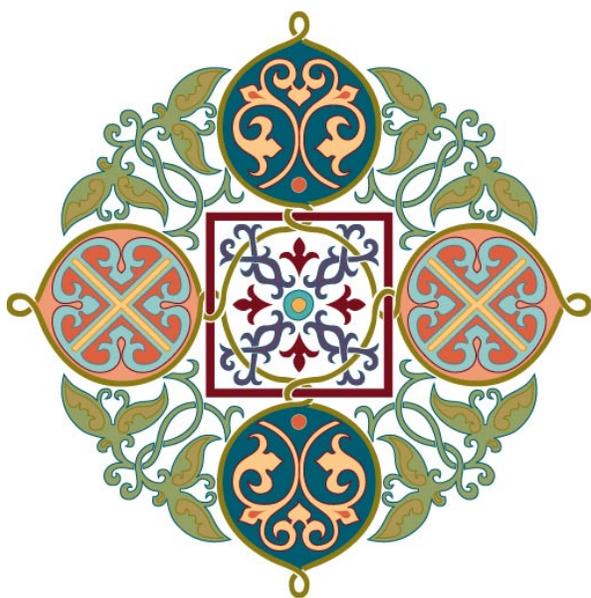
التنسيق والإخراج
المصمم : مهدي العسيف
mahdi0074u@hotmail.com

شئء من الوفاء

من أفكار المرجع الديني آية الله العظمى
السيد محمد الحسيني الشيرازي

المؤلف

رضي منصور رضي العسيف



الفهرس

٦	المقدمة
٨	كلمة... ودمعة
١٢	الإمام الشيرازي .. قدوتنا
٢٠	هكذا ننشر ثقافة أهل البيت (ع)
٢٨	أفكارٌ تُهمُّ الشَّباب
٣٧	عشرون قاعدة للنهوض من جديد
٤٩	العائلة المثالية في فكر الإمام الشيرازي " قدس سره "
٦٣	الإمام الشيرازي داعية الثقافة والتثقيف
٧١	كيف نحيي الذكرى السنوية ؟

المقدمة

الكتابة عند المرجع الإمام الشيرازي (قدس سره) فنٌ وذوقٌ رفيعٌ، وذلك لما تتميز به من مميزات جعلتها في متناول الجميع، بدءاً من المرجعيات وانتهاءً بالأطفال.

حيث تتميز كتاباته بالسلاسة والعمق، فهو لا يرمي بفكرته وسط شبكة معقدة من الألفاظ والتعابير التي تحتاج إلى من يفك رموزها، بل تجد فكرته واضحة وعميقة في آنٍ واحدٍ.

وقلما تجد مؤلفاً يتعامل مع قلمه في عدة اتجاهات، فالقلم عند الإمام الراحل قلمٌ متحركٌ وليس جامداً في وسطٍ واحدٍ.

كما أن كتاباته تجذب القارئ وتجبره على إنهاء الكتاب لما فيها من متعة وفكر، وهذا ليس مدحاً، وإنما هو من الواقع ومن أراد أن يتحقق من صحة هذه المقولة فما عليه إلا أن يمسك كتابه القيم (السييل إلى إنهاض المسلمين) ليجد نفسه متفاعلاً مع هذه الكلمات، وما هي إلا فترة وجيزة من الزمن وسينهي الكتاب.

من هنا نجد سرعة نفاذ كتب الإمام الشيرازي (قدس سره) من الأسواق وهي تطبع بأعداد كبيرة وتعاد طباعتها مرات ومرات، بل كان البعض - ولا يزال - يستنسخ كتب الإمام الراحل بآلات التصوير العادية وينشرها في الوسط الاجتماعي!

وحين التأمل في كتابات الإمام الراحل نجد أنه يُخفي الكثير من الأفكار ما بين السطور، ولهذا فنحن مطالبون بالتأني فيما نقرأه من أفكار الإمام الراحل وذلك لاستخراج الدرر والكنوز والأفكار الحضارية من بطون تلك الكتب.

وهذه المقالات شيءٌ من الوفاء لهذه الشخصية العظيمة، فمن مؤلفاته القيمة تعلمت وتثقت بالثقافة الحية. وقد كنت كتبها في الذكرى السنوية منذ رحيل الإمام عن هذه الدنيا في ١٤٢٢/١٠/٢ هـ وحتى ١٤٢٨/١٠/٣ هـ.

وأسأل الله تعالى أن يتغمد الإمام الراحل بواسع رحمته
ويسكنه فسيح جناته، إنه سميع الدعاء.

القطف - الشويكة

١٤٣٠/٧/٢٧ هـ

كلمة ... ودمعة

يقف المرء عاجزاً، حائراً، فقد طار لبه، وتفطر قلبه، لهول ما سمع، فالخبر ليس خبراً عادياً، والمصيبة ليست مصيبة عادية، والحزن والأسى واللوعة لا يمكن أن توصف...
لا يمكنني أن أصف ما بداخل كل محب لآية الله العظمى المرجع الأعلى السيد محمد الشيرازي قدس الله نفسه الزكية ... فكل محب له حزنه، ومشاعره الحزينة الخاصة به، كل محب قد عبر عن مدى ولائه وحبه بطريقة ما ... قد تتفاوت الصور، إلا أن القاسم المشترك يمكن أن نضع له عنواناً واحداً يتمثل في (لقد أصبحنا يتامى).

لا أعلم كيف غفت عيوننا في تلك الليلة ... كيف خلدنا للراحة من تعب ذلك اليوم الذي تبدلت صور العيد بصور الوفاة والحزن ... لقد تبدلت الصورة، واستبدلت بالثياب الجديدة ثياباً أخرى سوداء ... ورفعت الأعلام تعبيراً عن هذا الحادث الجلل ...

وأعلن الحداد في كل بيت له صلة حب، وولاءً للسيد الفقيد.
وقفت في تلك الليلة أنظر لصورة الفقيد، والقلب يتفطر ألماً
وحزناً، والعين باكية ... وقفت أتأمل في وجهه المشرق ... وأقول:
كيف مضيت عنا؟ أبهذه السهولة سيدي رحلت عنا؟ هل رأيت
أننا أصبحنا في غنى عنك، وعن فكرك و منهجك؟ سيدي، هل
قلت لنا كيف نسير في درب الحياة الشائك؟ كيف نسير في وسط
هذا الظلام الدامس؟!

سيدي، هلا أجبتي؟

وكأن السيد الفقيد قال: انظر إلى مكتبك ...

توجهت بنظري ... نظرتُ إلى الصياغة الجديدة، السبيل لإنهاض
المسلمين، ممارسة التغيير، إلى حكم الإسلام، الفقه، السياسة،
الاجتماع، الحقوق، الإدارة، الأخلاق الإسلامية، الفضيلة
الإسلامية، ...

توجهت بنظري إليه مرة أخرى وقلت: هذا لا يكفي يا سيدي ...
نحن بحاجة إليك لننهل من معين فكرك ... لنرتشف من فيض
منهجك ...

بقيت في ذلك اليوم أسرح في فكر السيد الفقيد ومنهجه حتى
استنتجت هذه الفكرة وهي أن السيد الفقيد كان أمة في رجل ...

السيد الفقيه عاش في عصرٍ دون عصره، بل لقد سبق السيد الفقيه عصره بقرون ... وأقول هذه الكلمة بلا عاطفة أو مبالغة ... فهو العالم الرباني الذي تجسدت فيه خصائص الأوصياء ... أليس (العلماء ورثة الأنبياء)؟ حين تتأمل في فكره تجده فكر رسول الله (ص)، والإمام أمير المؤمنين (ع) وبقية قادة أهل البيت (ع).

لقد نذر السيد الفقيه عمره في سبيل خدمة الدين وإعلاء كلمة الإسلام، لم يدخر لنفسه جهداً، لم ينعم بالراحة، أعطى كل ما يملك لهذا الدين ... ولأن يعلم أن هذا الدين ينبغي أن يعم أرجاء المعمورة فإنه سخر قلمه لنشر هذه المعارف الإسلامية، وبدأ مشوار القلم، صار يكتب ويكتب ويكتب حتى أصبحت كتبه سحابة تغطي أرجاء الأمة، حتى أصبحت كتبه تناقش كل ما يحتاجه العالم.

هل بقيت قضية لم يناقشها السيد في كتبه؟ هل بقيت معضلة لم يضع لها السيد حلاً؟ لا أظن ذلك، وكلنا نعلم أن فكر السيد الفقيه استوعب الجميع (طفلاً، شاباً، امرأة، عالماً، مجتهداً...)، ولكنني أقول: هل نحن استوعبنا شخصية السيد وفكره ومنهجه؟! لقد عكف البعض من المؤلفين في الكتابة عن فكره ومنهجه، ولكن هذا يبقى قاصراً، وتبقى جوانب خفية بحاجة إلى من يكتشفها ...

فالسيد الفقيد كنزٌ مخفيٌّ، بحاجة إلى من يكتشفه، وحتى بعد رحيله
عنا ستأتي الأجيال لتسألنا عن قائد هذه النهضة، وهذه الصحوة،
تسألنا عن هذا الرجل الذي لا يزال نوره مشرقاً، ستتعاقب السنون
دون أيّ تغيير في فكر السيد، بل ستأتي الأجيال لتقرأ السيد فكراً،
منهجاً متجدداً، لا، ولن يطفى نورك يا سيدي، فأنت الشمعة التي
أضاءت لنا الدرب، وأنت السراج الذي أخذنا إلى طريق الصواب،
وأنت حلقة الوصل بيننا وبين السماء ...

سيدي، نعاهدك ونقول: إننا على نهجك، وفكرك
سائرون، لن نتردد، لن نتراجع، فنحن لك، ونحن بفقدك يا سيدي
أصبحنا يتامى، فإلى روحك الطاهرة ألف سلام، وإنا لله وإنا إليه
راجعون.

الإمام الشيرازي ... قدوتنا

الكتابة عن الإمام الشيرازي (قدس سره) مسألة صعبة،
فمن أين يبدأ الكاتب كتابته؟ وكيف ينتهي؟
إننا نكتب عن عملاقٍ من عمالقة الفكر الإسلامي، وعن
فقيه سبق عصره، وعن أمةٍ في رجلٍ، ولكن ماذا نريد أن نكتب؟

مشكلتنا ...

مشكلتنا مع العلماء أننا لا نعرف شخصياتهم إلا بعد
رحيلهم، ففي حياتهم ليس لدينا إلا التهميش والتجاهل والحطُّ
من قدرهم... نضرب ستاراً بيننا وبينهم، بل يسعى البعض لأن
يكون داعياً للصدِّ عنهم ويحرض الناس على مقاطعتهم!! وينسج
البعض التهم ويكيل الشتائم في حقهم، ويغتال شخصياتهم بعدة
أساليب!! هذه هي مشكلتنا مع من يريد خدمة الدين، ومن يضحي
بنفسه لأجل رفعة الأمة، وهذه هي مشكلة المجتمعات الميتة التي
تتسم بسمه عدم الوعي الشامل لكل مناحي الحياة.

رحيل العلماء...

يقول رسول الله (ص): «موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسدّ وهو نجمٌ طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم». (١)
ذلك أن العالم الرباني ليس شخصيةً عاديةً، فهو يمثل الدين، وهو امتداد لخط الأنبياء والأوصياء، أي إنه حلقة الوصل بين السماء والأرض.

والعالم الرباني يمثل قلب المجتمع والأمة، أي إنه حياة المجتمع والأمة، ولهذا يقول رسول الله (ص): «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي، وورثة الأنبياء». (٢)
وهكذا تكون خسارة الأمة حين تفقد العالم الرباني، فهي لم تفقد شخصاً وإنما فقدت روحها، فقدت من يمثلها، ومن يمثل قيمها، ومن يمثل مفاهيمها ومثلها.

عن الإمام الشيرازي...

ونحن في الذكرى السنوية الأولى لرحيل العالم الجليل الإمام العظيم المجدد الشيرازي، نقف وقفة المتأمل في شخصيته مستلهمين أهم الدروس والعبر من حياته المقدسة.
ففي حياة الإمام الشيرازي العديد من المواقف الخالدة، التي ستبقى على مرّ العصور تتحدث عنها الأجيال وتستفيد منها في

حياتها، ونحن هنا نذكر بعض الصفات التي اتسمت بها شخصية الإمام الراحل.

أولاً: تحمل المسؤولية

فمنذ أن كان في العراق تحمل المسؤولية كاملةً في الدفاع عن العقيدة والإسلام، فقد قاوم حملة الشيوعيين في العراق و تصدَّى لهم؛ وذلك عبر تأليفه الكتيبات ودعوة الجماهير لمقارعة هذا المدّ المنحرف، وقد كتب عدة كراسات تهدف إلى (تعرية الخط الشيوعي)، منها: حوار حول تطبيق الإسلام، مباحثات مع الشيوعيين وغيرهما... هذا على صعيد المسؤولية الدينية.

أما على صعيد المسؤولية الاجتماعية فقد كان من الأوائل الذين دعوا إلى تأسيس لجان تزويج العزاب والقروض الخيرية، إضافةً إلى مشاركته في حل المشاكل الاجتماعية...

ثانياً: الفاعلية

فقد كان عالماً فاعلاً، وكانت حياته تتسم بهذه السمة، ولم يكن للكسل موقعٌ في حياته، ومشاريعه تشهد على هذا، وما حركته في التأليف إلا شاهدٌ حيٌّ على هذه الفاعلية. فكم هي الساعات التي يخلد فيها للراحة؟

يقولون أربع ساعات!! وربما هي أقل في كثير من الأحيان، وإلا فما هذه القدرة التي تتيح لمثل هذا الرجل أن يكتب كل هذه المؤلفات!!

إن الإمام الراحل جعل من ساعات اليوم الواحد تتجاوز الـ ٢٤ ساعة وذلك بفاعليته ونشاطه، فهو بين تأليف وبين تدريس وبين مقابلات عامة وخاصة، وبين مطالعات وبين عبادات... نعم، هذه الفاعلية التي عرفها الإمام الراحل والتي استفاد منها في خدمة الدين.

ثالثاً: التجديد

إن لقب المجدد ليس لقباً يستحقه كل فرد، بل يستحقه كل من كان بحجمه، تماماً كما هي مقولة الإمام علي (ع): «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تفضل مائة و تهدي مائة إلا أخبرتكم بناعقها وسائقها». (٣)

فهذه ألقاب لا يحملها إلا الرجال الأفذاذ، إلا العمالقة فقط. وهكذا استحق الإمام الراحل لقب المجدد لأنه كان أهلاً له، ففي عصر تقدم العلوم الطبية يخرج الإمام الراحل مسألته التي تنص على: «الظاهر جواز تلقيح المرأة بمني زوجها ويلحق به الولد». (٤)

ويتجلى التجديد في موسوعته الفقهية حيث أَلَفَ واستحدث أبواباً جديدةً في الفقه الإسلامي، منها: الفقه السياسي، الفقه الاجتماعي، الفقه الإداري، الفقه الاجتماعي، الفقه الدولة الإسلامية، الفقه المرور، الفقه البيئية، وقد صدر حديثاً الفقه العولمة وغيرها من أبواب الفقه المتجددة.

ويعدُّ الإمام الراحل المجدد في حقل المناسبات الدينية حيث أضاف إليها التمثيل، ومن الأفلام التي تم عرضها «ميلاد النور وتمثل ميلاد الرسول الأعظم وما رافقه من أحداث، وفيلم في شعب أبي طالب، وعلي مع القرآن والإسلام في القارة الأفريقية» (٥).

رابعاً: العالمية والطموح غير المحدود

كان الإمام الراحل منطلقاً في هذا العالم، لم يقصر نفسه ببقعة معينة من هذا العالم، ويتجلى ذلك في فكره العالمي واهتمامه بقضايا الأمة، وكان على وعي تامٍّ بمجريات الأحداث العالمية، فكانت له رؤاه وتوجيهاته القيمة.

ففي القضية الأفغانية كانت مواقفه جلية عبر مساندته للحركات الأفغانية وقياداتها، وقد «كتب (قدس سره) كراسات تهّم القضية الأفغانية، منها (أفغانستان رادريابيم) باللغة الفارسية

كما أصدر عدة بيانات حول الغزو الروسي لأفغانستان، وقد عقد عشرات الجلسات للدفاع عن أفغانستان المسلمة» (٦).
وعلى صعيد القضية الفلسطينية فقد كانت له رؤاه أيضًا، وقد كتب في الفقه السياسي رؤى في هذا الحقل تحت عنوان (ثغرتان في الكفاح الفلسطيني)، و(كيف ننقذ فلسطين؟) (٧). كما أن كتاب (هل سيبقى الصلح بين العرب وإسرائيل؟)، وكتاب (احذروا اليهود) إحدى الرؤى الجديرة بالمطالعة أيضًا.
ولأن نظرية الإمام الراحل نظرية عالمية نجده يكتب تحت اسم (الأمة بين المأساة والعلاج) و (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) و (السييل إلى إنهاء المسلمين).
ولأن نظرية الإمام الراحل تتسم بسمة الطموح غير المحدود، نجده يكتب تحت عنوان (إلى حكومة ألف مليون مسلم)، و(المسلمون يتضررون)، و(المتخلفون مليارا مسلم).
فهذه شذارت من عالمية وطموح الإمام الراحل (قدس سره)، توضح لنا كيف هي نظريته وعمق تفكيره وبصيرته النافذة وتطلعه إلى هذا العالم.

نحن والعلماء...

بعد هذا العرض الموجز عن الإمام الراحل لنا أن نقف
ونتساءل: كيف هي علاقتنا مع العلماء؟
هل هي إقامة المحافل التأيينية بعد رحيلهم، وطباعة كتبهم
التي بقيت مخطوطة منذ دهور، أم ماذا؟
نعم، ما هو واجبنا تجاه العلماء؟
أقول: إننا مطالبون بما ذكرته؛ ولكن الأهم من هذا أن
نحیی العلماء، لنجعل العلماء عاملين، لندفع العلماء نحو العطاء،
لنصنع العالم الرباني الذي عبره يمكن أن نبني مجتمعاً ربانياً.
إن علاقة التفاعل بين العالم وبين المجتمع هي العلاقة
المفقودة، التي ينبغي إعادتها بكل قوة، وذلك عبر التعاون الفاعل
مع الأطروحات والمشاريع الحيوية الهادفة إلى رفعة المجتمع، وأن
لا يقف المجتمع منتظراً من العالم نظريةً أو مشروعاً بل عليه -أي
المجتمع- أن يعرض مشكلاته وهمومه على العالم ليطلبه بإيجاد
الحل الناجح لها.

كلمة أخيرة...

إن من واجبنا تجاه هذا الإمام العظيم أن نقرأه بعمق، وأن ننشر فكره بكل ما استطعنا، وأن نخلد ذكره، وأن نقيم الذكرى السنوية في كل عام، فهذا أقلّ واجب نقوم به تجاه من نذر نفسه لخدمة الدين والأمة.

الهوامش:

- (١) التفسير المعين، مادة العلماء، ص ٤٣٧
- (٢) المصدر السابق، مادة طالب العلم، ص ٥٤٥
- (٣) الإمام علي من المهد إلى اللحد والعلوم الطبيعية، ص ٢٨٨
- (٤) المسائل الإسلامية، مسائل حديثة، مسألة ٢٣، ص ٦١٣
- (٥) أضواء على حياة الإمام الشيرازي، ص ٣٨
- (٦) المصدر السابق، ص ١٠٠
- (٧) لمزيد من الاطلاع، راجع الكتاب ص ١٦٥-١٦٨

هكذا ننشر ثقافة أهل البيت (ع)

أهل البيت (ع) هم أمان أهل الأرض، وهم سفن النجاة،
وهم خزان علم الله، وهم الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً، وهم وصية رسول الله (ص)، وهم حجج الله
على البرايا، وهم الأدلاء على مرضاة الله تعالى.
من تمسك بهم نجا، ومن تخلف عنهم غرق وفنى،
ولولاهم لساخت الأرض بأهلها، ومن أراد أن يتصل بالله فما عليه
إلا أن يتقرب ويتوسل بهم، فهم حبل الله وصراطه المستقيم.
ومن يعرف أهل البيت حق معرفتهم فإن نفسه تهوهم
وتقرب منهم وتقتدي بهم وتتبع نهجهم، ويسعى جاهداً لديمومة
هذا الخط، ويسعى جاهداً لنشر فكرهم وتراثهم ومناقبتهم.
ويُعدُّ ساحة الإمام الشيرازي (قدس سره الشريف)
ممن عرف أهل البيت بهذه الصورة، ولهذا فقد ارتبط بهم وتمسك
بحبلمهم وسعى جاهداً مجاهداً لنشر مبادئهم وذلك عبر ما يلي:

أولاً: الدعوة إلى التأليف في مجال أهل البيت (ع)

فكم هي المؤلفات التي ألفت حول أهل البيت (ع)؟

ربما يقول البعض إنها كثيرة جداً!

ولكنَّ الإمام الشيرازي ذا الطموح والهمة العالية وصاحب القلم السيِّال لا يقتنع بعدد هذه المؤلفات ويعدها قليلة جداً، حيث يقول: (ومع الأسف لم أجد كتاباً عن أحوال النبي (ص) بقدر الموسوعة التي ألفت عن (غاندي) زعيم الهند، حيث كتبوا حوله (ثلاثمائة) مجلد.

كما لم نجد الكتب التي ألفت حوله (ص) بقدر ما كتب حول (الإقبال) المعروف، فقد كتبوا حوله خمسة آلاف كتاب ودراسة، فهل نعرف حوله (ص) خمسة آلاف كتاب؟ وهو (ص) لا يمكن أن يقاس بأحد أو يقاس به أحد!!). (١)

والإمام الشيرازي حينما يكتب حول أهل البيت فإنه يبحث في سيرتهم بحثاً دقيقاً مستخلصاً منه أهم الدروس والعبر، كما أنه يدرس التاريخ بعين بصيرة وروح جديدة، ويدرس خطبة الزهراء دراسة فقهية موسعة، وإليك هذا المثال:

فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء

فقد كتب حولها هذا الكتيب الصغير في حجمه العميق في محتواه، حيث تحدث فيه عن جهادها (ع) بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وقد ذكر في ذلك صوراً رائعة، كما تحدث (قدس سره) عن مشاركتها في الحقل السياسي مستلهماً ذلك من كلمتها العظيمة (وطاعتنا نظاماً للملة)، واعتبر أن طاعة المعصومين (ع) نظام للأمة، كل ذلك في كتيب لا تتجاوز صفحاته (١٠٣) صفحة، ولكنه حافل بمواقف البطولة والقيم الرسالية.

الحسن والحسين إمامان

وكراس آخر لا تتجاوز صفحاته (٣٢) صفحة يتحدث فيه (قدس سره) عن دور السبطين، وذلك عبر تبصير الأمة بما تعانيه الأمة من انحرافات سياسية متمثلة في سيرة الحاكم آنذاك (معاوية) وضرورة مواجهة هذا الانحراف الذي كان يمثله يزيد بن معاوية، وهو بهذا يرسم لنا آلية الإصلاح وضرورته. كما قام (قدس سره) بتحرير بعض المجالات الخاصة بأهل البيت (ع)، منها: (صوت العترة)، و (ذكريات المعصومين).

ثانياً : مؤسسات ومراكز باسم أهل البيت (ع)

قام (قدس سره) بتأسيس العديد من المؤسسات والمراكز الدينية وربط اسمها باسم أهل البيت (ع)، وكان يهدف من ذلك إلى تخليد هذه الأسماء، وليتأسى مرتادو هذه المراكز باسم صاحب المركز، والجدير ذكره أنه لا توجد مؤسسة واحدة تحمل اسمه رضوان الله عليه، وقد اقترح عليه البعض إطلاق اسمه على بعض الحوزات أو الحسينيات أو المساجد ولكنه كان يفضل أن يكتب اسماً من أسماء أهل البيت (ع) لذلك المركز.

ومن المراكز التي أنشأها رضوان الله عليه وخلد فيها ذكر

أهل البيت نذكر:

في الكويت:

مدرسة الرسول الأعظم (ص)، مكتبة الرسول الأعظم

(ص)، مسجد الرسول الأعظم (ص).

في إيران:

مدرسة الرسول الأعظم (ص) - قم المقدسة، مدرسة

الإمام الرضا (ع) - مشهد المقدسة، مكتبة الإمام علي بن أبي طالب

(ع) - قم المقدسة، مكتبة الزهراء (ع) - قم المقدسة، وغيرها كثير

من مساجد وحسينيات ومستوصفات، وجميعها باسم أهل البيت

(ع).

ثالثاً: بناء الرجال والمبلغين عن أهل البيت (ع)

حتى ينتشر الفكر في بقاع الأرض لا بُدَّ من رجال أكفاء يبلغونه وينشرونه في أرجاء المعمورة، ويتضح هذا جلياً في سيرة الإمام الراحل، فقد تربي على يديه العديد من الخطباء والمحاضرين البارعين والمفوهين الذين أحدثوا تغييراً ملحوظاً في المنبر الحسيني من حيث كيفية الإلقاء ونوعية المادة الملقاة، وقد لاقت إطروحات الخطباء والمحاضرين إقبالاً جماهيرياً منقطع النظير.

ويعتبر الخطباء الذين تتلمذوا في مدرسة الإمام الشيرازي من رواد الخطابة الحسينية الحديثة، وكذلك كان لهم الفضل في بث فكرة الاحتفالات والندوات بين صفوف المجتمع، وذلك منذ ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً.

رابعاً: العادات (المجالس) الأسبوعية

من الأفكار التي بثّها الإمام الراحل في صفوف أتباعه هي أن يكثر من عقد مجالس العزاء (العادات)، وكانت هذه هي إحدى وصايا الإمام العشر (في كل بيت عادة أسبوعية)، وعندما طرح الإمام هذه الفكرة تعجب البعض منها، ولكنها سرعان ما أصبحت عادة تميّز بها مجتمع الكويت.

إن الإمام الشيرازي لم يرغب أن تكون ذكريات أهل البيت وقتية، وذات زمن محدد بل أرادها أن تكون مستمرة طيلة العام، ولهذا يقول إنه (لو عقد المجلس للنبي (ص) وفاطمة الزهراء (عليها السلام) وأحد عشر من الأئمة (ع) الذين استشهدوا، لرتاء كل واحد منهم ثلاثة أيام في ذكرى شهادتهم كان (٣٩) خدمة). (٢)

خامساً : الاهتمام بالمناسبات أهل البيت (ع)

لا يعني الاهتمام بالمناسبات مجرد الإحياء فقط - وإن كان هذا مطلوباً- وإنما يعني إحياء المناسبة بصورة مميزة تستقطب الجماهير، وبطريقة ترسخ مفاهيم المناسبة في أذهانهم، وهذا ما سعى إليه الإمام الراحل حيث ابتكر طريقة الاحتفالات بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين (ع) وكان لها صداها في العراق يومذاك.

إضافة إلى هذا فقد أعطى عنواناً معيناً لبعض المناسبات، ومنها مولد الرسول الأكرم (ص) حيث أطلق عليه عنوان (أسبوع المولد الشريف)، وكتب في ذلك كتاباً تحت هذا الاسم، يقول في مقدمته: (إن هذا الكتاب -أسبوع المولد الشريف- كتبه لأجل إلفات المسلمين إلى ضرورة أن نجعل أسبوع ميلاد الرسول الأعظم من ثاني عشر ربيع الأول إلى ثامن عشر منه أعياداً وأفراحاً

لنقوم بواجب الولاء أولاً، ونملاً فراغ النفس والجسم ثانيًا، ونتبع ما يوجب السعادة الدنيوية والأخروية ثالثًا).

وقد وضع الإمام الراحل برنامجاً متكاملًا لهذا الأسبوع، منه ما يتعلق بالجانب الفردي، وآخر يتعلق بالجانب الرسمي، والجانب الاقتصادي والثقافي، والجانب الاجتماعي والأخلاقي، ويختتم الإمام برناجه بقوله: (ثم إن ما ذكرناه في هذا الكتاب، أسبوع المولد الشريف، هي خطط بدائية، واللازم على العاملين الواعين أن يمدوها بأفكارهم ويوسعوها ويعمقوها وأن يجعلوا الإطارات المناسبة لكل ذلك حتى تصلح للتطبيق والمسئول عنه سبحانه أن يجعل هذا الكتاب لبنة في بناء صرح الإسلام وهو الموفق المستعان).

وقد اقتدى أتباع الإمام بمنهجه في إحياء المناسبات وخصصوا عشرة كاملة تختص بالسيدة الزهراء وأطلقوا عليها العشرة الفاطمية، وذلك في شهر جمادى الأولى حيث ذكرى وفاتها (عليها السلام).

وهكذا ينبغي لنا أن نفكر في هذا الأمر لنجعل من مناسبات أهل البيت (ع) مناسبات تحيي ذكرهم وتنشر معارفهم وأن نخصص لكل معصوم عنواناً معيناً يتناسب مع ظروف المرحلة التي نعيشها.

الإمام الراحل والسيدة الزهراء (ع)

للإمام الراحل علاقة خاصة مع أهل البيت (ع) وذلك من خلال ما ذكرناه سابقاً، إلا أن علاقته بأمه الزهراء علاقة مميزة (ويكفيها لفهم هذه العلاقة أن نعرف أن آخر ما كتبه في آخر لحظات حياته الشريفة كانت كلمات فيها صلوات الله عليها، حيث وجد غائباً عن الوعي وفي يده ورقة كانت مقدمة لكتاب جديد رام تأليفه عنها عليها الصلاة والسلام. كما يكفيها أن نعرف أن سفره العظيم (من فقه الزهراء عليها السلام) الواقع في ستة أجزاء من موسوعة الفقه، كان أعظم سفر فقهيّ استدلاليّ من سيرتها ظهر في الوجود حتى الآن). (٣)

وهكذا نخلص إلى القول إن إمامنا الراحل قد اصطبغت حياته بصبغة أهل البيت (ع) وعشقهم وتفاني في خدمتهم من خلال أعماله الخالدة، وهذا يتطلب منا كأتباع لهذا الإمام العظيم أن نسير بسيرته، وأن نسعى لخدمه أهل البيت (ع) عبر قلمنا أو مالنا أو تأسيس مراكز وهيئات ولجان تهتم بأمرهم وتحيي ذكراًهم.

الهوامش:

- (١) الشيرازي، آية الله العظمى السيد محمد الحسيني، السيدة أم البنين (ع)، ص ١٠، الطبعة الثالثة ١٤٢٣ هـ، هيئة خدام المهدي (ع)
- (٢) الشيرازي، آية الله العظمى السيد محمد الحسيني، رسالة المساجد والحسينيات، ص ١٣، الطبعة الخامسة ١٤١٤ هـ، مؤسسة الزهراء (ع)
- (٣) الشيرازي، آية الله العظمى السيد محمد الحسيني، فاطمة الزهراء أفضل أسوة للنساء، ص ٦، الطبعة الخامسة ١٤٢٤ هـ، هيئة خدام المهدي

أفكارٌ تهَمُّ الشباب

الشباب هم الفئة التي تبني عليها آمال المستقبل، وهم الذين يرسمون خريطة التقدم والتطور للمجتمع، وهم الجيل الذي يمتاز بكل مقومات النجاح من تطلع، ومسؤولية، وفاعلية، وهممة عالية، وتفكير حضاري.

إلا أن هذه الفئة تعيش حالة من المأساة تحول دون بلوغهم آمالهم، وتحول دون الاستفادة منهم في بناء المجتمع، ولهذا فإنهم بحاجة إلى من يرسم لهم الطريق الصحيح ويعينهم على تخطي تلك العقبات وتجاوز تلك المآسي والمشكلات التي تحول دون بلوغهم آمالهم.

ومن بين الذين سعوا لرسم خريطة النجاح للجيل الشاب يأتي سماحة المرجع الراحل الإمام الشيرازي (قدس سره) حيث قام من خلال تجربته الرائدة ومشاهداته الحية لتغيرات العصر وما يمس الشباب من تطورات وتغيرات بتأليف كتاب (الشباب)،

الذي يَبِّن فيه أربع عشرة قاعدة لبناء حياة سعيدة للشباب، وقبل أن نستعرض الكتاب نذكر موجزاً عن حياته فيما يتعلق بمرحلة الشباب.

لنتخذهُ خير قدوة

حين نتأمل في شخصية الإمام الراحل فإننا نجد أن هذه الشخصية هي خير قدوة لجيل الشباب وذلك من خلال ما يلي:

١- اهتمامه العلمي

حيث أقبل الإمام الشيرازي على طلب العلم في سنٍّ مبكر واستفاد من البيئة التي عاش فيها خير استفادة، ودرس العلم دراسة جادة حتى بلغ مرتبة حضور الدرس الخارج وهو لم يبلغ العشرين من عمره الشريف.

وحينما وصل إلى مرتبة الاجتهاد، بدأ بتدريس دورة دروس الخارج في الفقه والأصول عام ١٣٧٨ هـ وكان عمره ٣١ سنة، وتولى زمام المرجعية وعمره ٣٣ سنة بعد إجازته من حملة من العلم والاعتراف منهم باجتهاده.

من هنا نقول: إن الإمام كان ممن سخر شبابه في التحصيل العلمي، وأقبل على العلم بكل كيانه، حتى بنى هذه الشخصية العلمية في فترة قياسية.

٢- المؤلف الشاب

كما صادق الإمام الراحل القلم منذ حداثة سنه، فقد بدأ بالتأليف وعمره خمس عشرة سنة، وما تمتاز به مؤلفاته أنها مؤلفات تهتم بقضايا الشباب فقد سعى (قدس سره) لأن ييسر العلوم لتكون في متناول أيدي الجميع بالخصوص الطبقة الشابة.

ومن الكتب الموجهة إلى الشباب: إلى شبابنا في البلاد الأجنبية، الإسلام أمل الشباب، الشباب، كما كتب كراسات فقهية مبسطة للشباب من قبيل: هل تعرف الصلاة؟، ما هي الزكاة؟، أيكم يعطي الخمس؟، ما هو الصيام؟، وكراسات عقائدية، مثل: هكذا الشيعة، اعرف الشيعة، من هم الشيعة، قصة الشيعة، وغيرها.

كما أنه كتب للشباب الجامعي كتباً عميقة تتناسب مع المرحلة الجامعية، منها: السياسة، الاجتماع، القانون، الحقوق، الاقتصاد، وغيرها.

٣- المشاريع الاجتماعية

من يقرأ حياة الإمام في كربلاء سيجد الكم الهائل من المشاريع الاجتماعية التي أسسها، نذكر منها: مدارس حفاظ القرآن الكريم التي تهدف إلى تكوين ناشئة مثقفة بالثقافة الإسلامية، وتهيئة

الأطفال للدخول في سلك رجال الدين لتبليغ الدين الإسلامي العظيم، وتربية كوادر تحمل الكفاءة التربوية السليمة..

ومن مشاريعه أيضاً النادي الإسلامي ليقضي الشباب ساعات فراغهم، ومنها أيضاً إنشاء هيئة شباب التبليغ التي تهدف إلى تأسيس مجالس دينية لغرض توعية الشباب، وطبع الكتب الدينية ونشرها بين كافة الأوساط، وإرشاد الشباب إلى معالم الدين الإسلامي الحنيف.

وغيرها من مشاريع شبابية تهدف إلى الحفاظ على هذا الجيل والسعي به إلى البناء الاجتماعي.

٤- الروح الشبابية

كما كان يتمتع الإمام الراحل بالروح الشبابية، فهو لا يعرف الملل أو الكسل، أو التعب أو العناء، وإنما كان دائم النشاط والفاعلية.

أما التطلع، والهمة العالية والطموح غير المحدود فقد كانت من أخلاقياته العملية التي تميزت بها شخصيته.

أما تعامله مع الناس فمن تشرف بزيارته فإنه لم يخرج من بيته المتواضع إلا وتغمره الدهشة عن هذا المرجع الذي غمره باستقباله المتميز وبسمته الدائمة، ونصائحه وكلماته المضيئة.

عرض لكتاب الشباب

نذكر هنا أهم ما جاء في الكتاب الذي يقع في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط:

١. أن يقوم العقلاء والعلماء بالاهتمام بالشباب، فيأخذوا بيدهم ويسعوا لحل مشاكلهم، وعليهم تقع المسؤولية الكبرى في إنقاذ الشباب من الانخراط في جماعات الفساد.

٢. من الضروري بث التوعية في صفوف الشباب حتى يعرف كيف يسلك سبل الحياة الآمنة. ومن اللازم أن يؤخذ بأيدي الشباب علماً وعملاً حتى يعرف كيف يسير في هذا الضنك بسلام في جميع أبعاد الحياة.

٣. الاهتمام بالبناء العقائدي للشباب، حيث إن العقيدة الصحيحة هي التي تحمي الإنسان في مختلف المراحل الحياتية، وهي الضمان لعدم الانجراف في مختلف المفاسد، وهي عصمة للإنسان وللمجتمع.

٤. الاهتمام بالدراسة والعلم بما للكلمة من معنى، وأن يكون طلب العلم مستمراً لا يقف عند حدٍّ معيّن طبقاً لقول الرسول الأكرم (ص): (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)، وكلما ازداد علم الإنسان ارتفاعاً ازداد معرفته وتمكنه من السير الأفضل في حياة

سعيدة لا يشوبها مشكلات.

٥. إيجاد فرص العمل للشباب حتى لا يبقى الشاب عاطلاً، فحينما ينخرط الشاب في سلك العمل فإنه بذلك يسهم في البناء الاجتماعي فضلاً عن البناء الذاتي.

٦. الاهتمام بتنظيم الشباب تنظيمياً حسب الموازين العلمية والشرعية، وليكن التنظيم عملياً بكل أبعاده في الخلايا الحزبية أو السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية أو ما أشبه.

٧. الاهتمام بأمور الزواج وفي السن المبكر، ففي ذلك صيانتهم من الانزلاق في مهاوي الأمراض والمشكلات الجنسية والنفسية المعقدة.

٨. يلزم تنظيم أوقات الشباب بحيث تملأ الفراغات فيها بأسباب العلم والتقدم، وذلك بمختلف المناهج السمعية والبصرية والأمور الثقافية أو الترفيهية.

٩. الاهتمام بحل مشكلات الشباب، سواءً كانت مشكلات عائلية أو اقتصادية أو اجتماعية أو نفسية.

١٠. الاهتمام بصحة الشباب وقاية وعلاجاً، وذلك عبر إدخال الشباب في التأمين الصحيح، حيث إنه يوفر شيئاً كبيراً من المال في أمور المعالجة. والارتباط الدائم بالجمعيات الخيرية والمستوصفات

الإنسانية وما أشبه ذلك حتى يكون العلاج سريعاً ورخيصاً
ومناسباً لكرامة الإنسان وحرمة الشباب.

١١. إنشاء مراكز للتلقي الصحيح للشباب إذا انتقلوا من بلد إلى
آخر لأجل السياحة أو الدراسة، ففي هذا المركز حماية للشباب من
الانزلاق في مهاوي الفساد والانحراف.

١٢. تعليم وتدريب الشباب على الانتخابات الحرة والمؤسسات
الدستورية والتنافس الإيجابي ومختلف الحريات الإسلامية.

١٣. الحيلولة دون انزلاق الشباب في مهاوي الرذيلة الفساد
وذلك عبر تعميق الإيمان بالله والخوف منه في نفوس الشباب فهو
أفضل وأنجح قانون على وجه الأرض، كما أن الزواج المبكر يسهم
في ذلك أيضاً.

١٤. زرع المعاني الخيرة في نفوس الشباب التي منها: الآيات الثلاث
(الحرية، الأمة الواحدة، والأخوة) واللاعنف والتعاون، والنظام
الإداري الصحيح، والاعتناء بالمظهر الخارجي المناسب، والإتقان
في العمل، واحترام الكبار، ورعاية الصغار، ومتابعة الأحداث
يوماً بيوم، والبعد عن الارتجال في المواقف التي تتطلب قراراً
سريعاً، وزرع الشورى في نفوس الشباب. كما يلزم تربية الشباب
على تحمل المسؤولية وغيرها.

فهذه أربع عشرة قاعدة صاغها (قدس سره) مشخّصاً الداء والدواء الناجح، راسماً بذلك الأسس الأولية لبناء الجيل الشاب الذي يسهم في تقدم مجتمعه وأمته.

كلمات مضيئة للشباب...

في كثير من الكتب تحدث الإمام الراحل عن الشباب، وهنا نذكر بعضاً منها:

اطلبوا العلم

يجب ألا يتوانى شبابنا في مجال العلم والمعرفة، ليعرفوا أن سرّ انتصارهم على أعدائهم، وتقدمهم في جميع مجالات الحياة، مرهون بالعلم وتحصيل المعرفة.

حافظوا على شبابكم

يجب علينا أن نحافظ على مرحلة الشباب، ولا نضيعها في اللهو والأعمال الباطلة، بل نستغلها في أعمال الخير، والصلاح، والتفرغ ما أمكن في سبيل الله.

الشباب فرصة

ينبغي أن يُدرك الشاب والشابة بسرعة ذهاب فترة الشباب حيث إن الحياة فرصة سريعة... وسريعة جداً.

الشباب أداة التقدم

أيها الشباب، انظروا إلى تأخر بلادكم، وتقدم بعض بلاد العالم، فاجعلوا من أنفسكم أداة تقدم وآلة رقي، واسهروا الليل والنهار، لتلحقوا بركب الحضارة الحديثة، بل التقدم عليها، مع الاحتفاظ بالتراث الإسلامي الزاخر بكل خير وسعادة ورفاه وطمأنينة.

إلى الشباب الأعزة

أيها الشباب، أنتم القوة والمنعة، والطاقة والاندفاع ومفخرة الأمة، منطلق العمران والتقدم، فعليكم أن تهتموا بأنفسكم أكبر اهتمام، وتعرفوا قدر أنفسكم أحسن معرفة.

المصادر:

١/ أضواء على حياة الإمام الشيرازي، إعداد مجموعة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، دار المنهل.

٢/ الشباب، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، مركز الرسول الأعظم (ص) للتحقيق والنشر.

٣/ رحلة في آفاق الحياة، ألف كلمة وكلمة للمجدد الشيرازي الثاني، محمد طالب الأديب،

الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، دار العلوم للتحقيق والنشر.

عشرون قاعدة ... لتبدأ من جديد

اسم الكتاب: لتبدأ من جديد.

المؤلف: آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي «قدس سره».

الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، مركز الرسول الأعظم «ص» للتحقيق والنشر.

عدد الصفحات ٩٦ صفحة من الحجم المتوسط.

العظماء هم من ينظرون للحياة بمنظار واسع، وهم الذين يعون الحياة وعياً شمولياً، وهم الذين تعاملوا مع الحياة بما تمليه عليهم المبادئ والقيم الحقّة.

والإمام الشيرازي «قدس سره» هو أحد عظماء التاريخ، ليس تعاطفاً ولا مدحاً، وإنما الواقع يشهد بذلك، والمستقبل سيسجل شهادات لهذا الرجل العظيم.

الإمام الشيرازي «قدس سره» هو ممن كان يدعو لفهم الحياة وذلك عبر خطبه وكتاباته، وقد بدا ذلك جلياً في العديد

من التوجيهات التي كان يدعو فيها المسلمين لأن يفقهوا الحياة ويتعاملوا معها بالصورة الصحيحة لكي يبلغوا قمم التقدم والانتصار، ويعزي سبب السقوط والانحطاط لهذا العامل، وهو انعدام الوعي الحياتي، حيث يقول سماحته: «إن أعداء المسلمين في أعلى مراكز القوة، وإن المسلمين في أحطّ مراكز الضعف...». ولكي يخرج المسلمون من هذا الوضع قام سماحته بالكتابة المتواصلة في هذا الجانب ووضع الحلول الناجعة لكل من يرغب في الارتقاء والخروج من عنوان «التخلف».

ومن بين مؤلفاته «قدس سره» كتاب تحت عنوان «لنبدأ من جديد»، وهو عبارة عن عشرين قاعدة لإعادة النهوض بعد الكبوة التي أصابت الأمة ولإعلاء كلمة الإسلام والمسلمين.

القاعدة الأولى: عوامل الهزيمة وأسباب الانتصار

وتحت هذه القاعدة يتحدث «قدس سره» عن ضرورة استكشاف مواطن الضعف والهزيمة، ومن ثم تحويل هذه المواطن إلى عوامل انتصار، وقد ذكر «قدس سره» في هذا الجانب ضرورة معرفة مدى الإمكانيات التي يتحلّى بها الأعداء في مقابل عدم الاستعداد الذي يتحلّى به المنهزمون!!

وفي سبيل تحقيق الانتصار لا بُدَّ من تحويل الأمنيات

الفارغة إلى ساحات من العمل المتواصل الذي لا يعرف الكلل أو الملل، ولا بُدَّ أن يتحلى المرء بمزيد من الطموح، وألا يكون مقلِّدًا تقليدًا أعمى، حيث إن المتقدمين هم الذي يبدعون في حياتهم لا الذين يقلِّدون، كما لا بُدَّ من التعقل في الأمور.

فإذا أخذنا بسائر أسباب الحياة، وسائر مقومات الرقي والتقدم يمكننا بعدها أن نحقق ما نصبو إليه.

القاعدة الثانية : نبدأ من أنفسنا

ولعل سائلًا يسأل: من أين نبدأ إذا أردنا أن نتنصر ونجدد في الحياة ونتحلى بالوعي الحياتي؟

يجيب «قدس سره» عن هذا التساؤل بقوله: «إن التجديد يبدأ من نفس الإنسان، فإنه إذا لم يصلح الإنسان نفسه لا يمكنه إصلاح غيره من بني نوعه أو المحيط المتعلق به، الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والطبيعي وغيرها، وقد قال سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرَ مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾، فإن أول التغيير إلى الإصلاح أو الفساد هو الإنسان.

القاعدة الثالثة : الحرية

حيث إن الحرية هي أساس البقاء ثم التقدم، كما إن الإنسان إذا لم يكن حرًا لم يبق حيًّا، فكيف يمكنه أن يتقدم؟ كما أن العمل للحياة لا يكون إلا بالحرية، والحرية هي أول متطلبات العمل للإنقاذ.

ولأنه «قدس سره» قد شخّص الداء بقوله: «حيث إن الإنسان في الحال الحاضر في بلاد الإسلام أصبح أقل حرية حتى من الطير والوحش والبهيمة، فإنها تفعل كل ما تشاء لكن الإنسان لا يتمكن أن يفعل حتى عُشر ما يشاء!!». فإن العلاج ليس بالأمر الهين، حيث يقول: «ولا يظن أن إعادة الحريات إلى بلاد الإسلام شيء يسير»، ولكي نحقق الحرية يقول «قدس سره»: «إعادة الحرية تحتاج إلى ملء النفوس بها والتواصي فيها حتى يطلبها الكل».

القاعدة الرابعة : العلم

فهو من أساسيات التقدم والنهوض، ولأهميته تسعى مجتمعات الاستبداد لسياسة التجهيل حيث يقول «قدس سره»: إن «مختلف وسائل نشر العلم في بلاد الاستبداد تحت الرقابة الشديدة ووضع القيود الصارمة عليها، وإن كان المنع عن هذه الوسائل بمختلف الأعدار، لكن الجوهر واحد، وهو سياسة التجهيل».

ولكي ينهض المجتمع لا بُدَّ من إدخال العلم في كل بُعْدٍ من أبعاد الحياة إنشاءً أو تحسِيناً، كماً وكيفاً، وبذلك تكون البلاد آخذةً في الاستقلال.

القاعدة الخامسة : الصناعة

فهي من أسس التقدم للبدء من جديد، وقد دعا «قدس سره» إلى ممارسة الصناعة في مختلف نواحي الحياة، إلى أن نصل إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، حتى نصل إلى القمة التي وصلت إليها البلاد الصناعية بل وفوق ذلك.

القاعدة السادسة : الكرامة الاقتصادية

حيث ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يعيشوا حالة من الكرامة الاقتصادية؛ لأنها توجب الكرامة الاجتماعية، وهناك عدة طرق لتحصيل هذه الكرامة، منها: ممارسة الأعمال اليدوية، والاهتمام ببساطة الحياة، وأن يعمل الإنسان كلَّ شيءٍ يتمكن منه بنفسه.

القاعدة السابعة : تقليل الموظفين

يعلق «قدس سره» على هذه القاعدة بقوله: إن كل موظف زائد عن

قدر الحاجة الضرورية الملحة عامل لكبت الحريات.

ولكن كيف يتم تطبيق هذه القاعدة؟!

يقول «قدس سره»: تقليل الموظفين لا يكون دفعة واحدة حتى لا يوجب هز البلاد وإشاعة الفوضى، بل اللازم التقليل تدريجيًا تحت إشراف لجنة من الخبراء، ونقل كثير من شؤون الدولة إلى الناس، فالدولة تبقى مشرفة فقط لإجراء العدالة الاجتماعية وتقديم البلاد إلى الأمام وحفظ الأمة عن الأعداء، إلى ما أشبه ذلك.

ومن نتائج هذه القاعدة أنه كلما قل عدد الموظفين، انتقل الأفراد من الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن الكبت إلى التحرر، ومن صرف المال على الموظفين إلى توفيره، مما تقلل الضرائب إلى أن تصل إلى الضرائب الأربع المقررة في الإسلام فقط.

القاعدة الثامنة: مداراة الناس وملاءمة الزمان

ومعنى ذلك أن يعرف الإنسان أن كثيرًا من الناس يملكون طبائع وأذواقًا مختلفة يمكن أن لا يكونوا كما يجب أو كما يراه صالحًا، وأنه لا علاج في حالات كثيرة إلا بالمداراة والملاءمة والرفق.

القاعدة التاسعة: معنى التوكل

كثيرًا ما يختلط الأمر على الناس فيتصورون أن التوكل معناه عدم

تسبب الأسباب وعدم الأخذ بالطرق التي جعلها الله سبحانه
للأشياء، فيقعدون عن الأسباب ويرجون النتائج.
فالتوكل من لوازمه العمل بالأسباب الكونية التي جعلها الله. إن
من شأن التوكل هو أن يكل الإنسان ما ليس بيده إلى الله سبحانه
وتعالى.

القاعدة العاشرة: الارتباط المستمر بالله

ومما يجدد حياة الإنسان ويحافظ على توازنها: «الارتباط المستمر
بالله سبحانه»، فإن الهيجانات والاضطرابات قد تطغى على حياة
الإنسان فتمثل جانب الإفراط فيها، وكذلك الجمود والسكون
والبلادة تمثل جانب التفريط فيها، وهذه كلها تعادل وتوازن بسبب
الارتباط بالله سبحانه.

والم متصل بالله سبحانه تتجدد حياته على طول الخط، بينما غيره قد
يحصل وقد لا يحصل على شيء.

القاعدة الحادية عشرة: التخطيط ضرورة

وهو أن يجدد الهدف المطلوب الذي يريد الوصول إليه وكمية
وكيفية المقدمات الموصلة إلى ذلك الهدف.
وتأتي أهمية التخطيط في الأمان من الوقوع في الأخطاء، وفي حالة

الوقوع في الأخطاء ينبغي إصلاحه فوراً. ولكنه «التخطيط» ليس بالأمر السهل، سواءً في حياة الفرد أو حياة الجماعة، ولهذا فإن التخطيط بحاجة إلى الخبراء النزيهين الذين يهتمهم الهدف ويتوقون شوقاً للوصول إليه.

كما ينبغي أن يكون المخطّط ومن يرغب في الحياة السليمة أن يكون مراقباً لمشروعه، وتوقع المفاجآت في طريقه، وعليه في هذه الحالة أن يلاحظ أيها أهم حتى يقدمه على المهم، رعاية لقانون الأهمّ والمهمّ.

القاعدة الثانية عشرة: الزواج المبكر

لأنه ضمان من الفساد والكآبة والقلق والمرض. وقد ذكر «قدس سره» في هذا المجال أسباب تأخر الزواج وكثرة العنوسة وبعدها ذكر الحلول لهذه الأسباب.

القاعدة الثالثة عشرة: إسعاد الآخرين

حيث إن «إسعاد الناس» لا يوجب سعادتهم فحسب بل سعادة المُسعد أيضاً، وهذا من أهم ما يجدد الحياة، فإن الله سبحانه ربط النفوس بعضها ببعض، فسعادة بعضهم توجب سعادة الآخرين، وبالعكس.

والإسعاد يكون: بالكلمة الطيبة، والمواساة، والتسلي، والخدمة، وبذل المال، وقضاء الحوائج، والسعي في شفاء المريض منهم، وتزويج العازب والعازبة، وإسكان من لا سكن له، وإكساء العاري، وإنعاش الفقير، ورفع نكبة المنكوب، والأخذ بيد المعوق حسب الممكن، ورعاية الأرملة واليتيم. وفي هذا المجال يدعو «قدس سره» إلى تكوين المنظمات والهيئات والجمعيات لأجل قضاء الحوائج، سواءً كانت عامة، أو في بعد خاص من أبعاد الحياة.

القاعدة الرابعة عشرة: وحدة الصف

يقول «قدس سره» في هذه القاعدة إن عقلية «جمع الكلمة» ثم تطبيقها على ساحة الواقع، من أهم ما يتحلى به القادة الذين يقدمون الأمم إلى الأمام.

وحيث إن «وحدة الصف»، لها آثار عظيمة، والأثر العظيم لا يكون إلا بمقدمات ومبادئ عظيمة «فإن النتائج من جنس المقدمات»، فاللازم أن يهيئ الإنسان في نفسه تلك المبادئ والمقدمات، والله تعالى يسنده إذا سلك طريق الرشاد واستمد من فضله السداد.

القاعدة الخامسة عشرة: كيف تواجه المشاكل؟

فمن يريد تجديد الحياة لا بُدَّ أن يلاقي في كل خطوة مشكلات، فاللازم عليه:

التصميم والعزم، وأن يستمرى ما يلاقيه، وأن يصبر حتى تحل المشكلة، وأن يدفعها بالتي هي أحسن، وأن يتحلى بالحلم. كما أن المشكلات دائماً تلتطم بالإنسان من كل جانب، وغالبًا ما يقع الإنسان فيها، إذا لم يراعِ الدقة الأكيدة في التخلص أو التقليل منها، وذلك يحتاج إلى المراقبة الدائمة واليقظة الكافية والاستعانة بالله، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

القاعدة السادسة عشرة: استثمار الطاقات

إذا نظرت اليوم إلى أغلب المسلمين رأيتهم من أخسر الأمم، مع ما عندهم من المبادئ الراقية، والنفوس البالغة مئات الملايين، والمناطق الاستراتيجية، والأراضي الخصبة والواسعة، والمياه الكثيرة، وما إلى ذلك.. ويعود سبب هذا التأخر إلى عدم استثمار الطاقات، أو استثمارها بطريقة خاطئة، أو هدرها، في حين لو أن الإنسان إن استثمر طاقاته أفضل استثمار يأتي بالمعجزات العرفية.

القاعدة السابعة عشرة: تجديد الفكر

ذلك لأن الفكر المتخلف هو من أسباب الانحطاط والسقوط، ولهذا فاللازم على من يريد تجديد حياته وتقديم نفسه إلى الأمام، أن يجدد في فكره أيضًا، وأن يفكر في أفضل الأعمال وأرفعها، في الدنيا والآخرة، ثم يقدم خطوة خطوة، فإنها معدات الوصول إلى الهدف.

القاعدة الثامنة عشرة: التشجيع وإراءة الطريق

كما لا يخفى أن للتشجيع وإراءة الطريق أكبر الآثار في التقديم، فردًا أو جماعة أو أمة، وهو من لوازم تجديد الحياة، حيث إنه يرفع من المعنويات ويشحذ الهمم، ويفجر الطاقات.

القاعدة التاسعة عشرة: بين الأهداف والأهواء

هناك فرق بين من يريد من عمله الأهداف المقدسة وبين من يريد الأهواء والأضواء والاشتهار، فمن يريد الاشتهار وتسليط الأضواء عليه لا يمكنه أن يجدد الحياة، ولا يصل إلى الهدف. كما أن صاحب الأضواء يكون هدفه نفسه، بينما صاحب ومريد الهدف يكون هدفه خارج نفسه.

ومن يريد التقدم والهدف الرفيع لا بد أن يتجنب الأضواء

والأهواء، لا أن يكون حياديًا عنها - فحسب - فإن الشهرة آفة،
ومن يريد تجديد الحياة لا يتطلبها.

القاعدة العشرون: الفهم الصحيح للحياة

فعلى من يريد تجديد الحياة.. حياة نفسه أو حياة جماعة أو
حياة أمة: أن يفهم الحياة كما هي هي، فيواظب حتى لا يكون ممن
يفهمها هامشيًا أو مقلوبًا.

ذلك أن عدم الفهم الصحيح أو عدم استيعاب حقائق
الحياة لا يوجب إلا المزيد من التخبط والتأخر عن مسيرة التقدم،
والمزيد من المشكلات والفوضى في مجمل الحياة.

وبهذا يكون «قدس سره» قد رسم برنامجًا متكاملًا للخروج

من عنوان التخلف والجمود إلى ركب التقدم والسمو والرفعة.
وحرِّي بالمجتمعات والتجمعات أن تستضيء بهذه الأفكار وتسعى
جاهدة لأن تطبقها أو بعضًا منها على مجمل حياتها لتلتحق بركب
التقدم والمجد.

العائلة المثالية

في فكر الإمام الشيرازي (قدس سره)

تمثل العائلة النواة الحقيقية للمجتمع، وعليها تتحدد مسيرته، فإن كانت تلك العائلة تسودها أجواء المحبة والوئام، والتكاتف العائلي، وحينما تترف السعادة في أرجائها فإن إشعاعات تلك العائلة تنتشر في ربوع المجتمع.

ولنا أن نسأل: كيف السبيل لخلق مثل هذه العائلة المثالية؟

وإجابة هذا التساؤل نجدها في العديد من كتب الأسرة والاجتماع، غير أننا نريد أن نستوحي مما كتبه سماحة المرجع الراحل الإمام الشيرازي (قدس سره)، فهو ممن كان يدعو في العديد من أحاديثه إلى ضرورة تكوين الأسرة المؤمنة، وله أطروحاته في قضايا الزواج وغيرها.

وقبل رحيله (قدس سره) عن هذه الدنيا بسبع سنوات قام بتأليف كتيب (العائلة)، يقول في مقدمته: (العائلة في الإسلام،

عنوان هذا الكتيب الذي كتبه ليكون مرشدًا بدائيًا لجانب هامٍّ من الحياة، عملت على هدمه قوانين الغرب، وما زالت).
وفي سبيل بناء عائلة مثالية نموذجية يذكر الإمام الراحل العديد من النقاط في هذا الكتيب وفي غيره، نقتطف منها:

أولاً: مقومات الزواج السعيد

لكي ينجح الزواج، ولكي يعطي ثماره، لا بُدَّ من أسس رصينة يقوم عليها، منها:

١. الدين والأخلاق

حيث تنشأ الأزمة العائلية من الإنسان نفسه أيضاً، وذلك قد يكون من جهة ضعف الالتزام بالدين عند أحدهما حيث يخون بالآخر أو ما أشبه الخيانة، وقد يكون لضعف الأخلاق حيث إنه يلزم على كل واحد منهما أن يتخلَّق بالأخلاق الإنسانية اللائقة بالزوجين، ولكنه لا يلتزم (١).

كما أنه إذا لم تكن أخلاق أي من الزوجين حسنة تحول البيت إلى جحيم، كما إذا لم يكن لأيهما دين يردعه عن المنكر ربما باع عرضها أو ما أشبه ذلك (٢).

٢. مراعاة الحقوق والواجبات بين الطرفين

فعلى كل طرف منهما أن يعرف ما له من حقوق شرعية، وعليه أن لا يتعدى تلك الحقوق، وعلى هذا يلزم أن لا يتوقع كل واحد من الزوجين عن الآخر ما لا يطيقه أو يصعب عليه من الأمور المادية والتهيؤ وما أشبه ذلك، وإلا فكثيراً ما ينتهي الأمر بهما إلى ما لا يحمد عقباه من المفارقة أو التوتر أو الطلاق.

٣. البساطة في العيش وعدم التعقيد

إن ما يعيشه البعض من كآبة وقلق وغيرها من مظاهر التعاسة في الحياة إنما سببه الانجراف وراء الماديات والسعي الحثيث للظهور بمظهر الأبهة مهما كلف الثمن، والأمثلة في هذا المضمار كثيرة جداً. إن سيادة حالة الجشع والطمع الاجتماعي هي وراء ما تعانيه بعض المجتمعات من حالة التناحر والتنافر. ولذا يؤكد المرجع الراحل على أهمية القناعة في المعيشة، فهي - القناعة - كنز لا ينفد، والاقتناع بالواقع دون المزايدات والمبالغات الفارغة التي تحف عادة بالأشياء من جهة الغرور أو العرف والعادة الضاغطين ذلك الاقتناع يسبب الراحة النفسية والجسدية (٣).

٤. التعاون بين الزوجين

فلكي ترفرف السعادة في أرجاء البيت يلزم أن يتعاون الزوجان من أول يوم من أجل إنشاء أسرة قوامها المحبة والألفة ورائدها الهدفية والواقعية لا التبذير والإسراف والمظاهر المزيفة والمباهات التافهة (٤).

والتعاون يشمل جميع جوانب الحياة في بيت الزوجية، باعتبار أن هذا البيت يضم الطرفين وليس طرفاً واحداً، ولذا لا بُدَّ من الإسهام والاشتراك في الأعمال المنزلية.

ثانياً: التربية السليمة للأولاد

وفي هذا المجال يذكر المرجع الراحل (قدس سره) العديد من التوجيهات في العديد من كتاباته، نذكر منها:

١. تأهيل الطفل للمستقبل

اللازم تربية الطفل تربية تؤهله للمستقبل بملاحظة: صحته الجسدية ووقايته من الأمراض المحتملة، صحته العقلية حتى لا ينشأ منحرف الفكر، وصحته العاطفية بأن لا يكون جامد العاطفة أو سيّال العاطفة (٥).

٢- التربية بين الإفراط والتفريط

حيث إن الأبوين المعتدلين في التربية يهيئان المناخ الملائم لنمو الطفل نموًّا صحيحًا خاليًا من التعقيد والانفلات (٦).

٣. المساواة بين الأطفال

وكذلك يجب أن يلاحظ بالنسبة للطفل عدم ترجيح غيره عليه، فإذا كان له طفلان ساوي بينهما، وإن لم يساوِ أورش تعقيدًا بالنسبة إلى كليهما، سواءً المرجح، أو المرجح عليه (٧).

٤. اللاعنف مع الأولاد

فمن وصايا الإسلام الخالدة في مسألة اللاعنف في الأسرة هو أن تتعامل الأسر مع أطفالها بالموودة والرحمة وما أشبه من أساليب اللين التي غالبًا ما تربّي الصغار على الطريق السليم وتأخذ بيدهم نحو الصواب والساداد (٨).

٥. تثقيف الأطفال

إن الثقافة في منهج الإمام الشيرازي ليست حكرًا على فئة دون أخرى، فهو ممن يدعو إلى أن تعمم الثقافة الإسلامية لمختلف المستويات، آخذًا من الأطفال، فتصنع لهم الثقافة في الصور

والتماثيل الورقية والكرتونية والحلويات وما أشبهه، مثل أن تصب صورة الكعبة من الشكولاتة - مثلاً - إذا كان ذلك مناسباً (٩).
ومن وصايا الإمام الراحل الخالدة أن تكون في كل بيت مكتبة، بل إنه سخر شطراً من قلمه للكتابة فيما يخص الأطفال والناشئة، ومن جملة ما كتبه:

- القصص الحق.
- كيف عرفت الله؟
- كيف عرفت عدل الله؟
- كيف عرفت النبوة؟
- كيف عرفت الإمامة؟
- كيف عرفت المعاد؟ وغيرها الكثير.

٦. الأطفال وتجارب الآباء

على الآباء أن يجعلوا بيوتهم مدرسة لتربية أولادهم على تجاربهم اليومية، مهما كان شأن الأب، ومهما كان سنّ الولد، فإذا رجع الأب إلى منزله ظهراً أو ليلاً، جمع عائلته كلهم، ثم قصّ لهم ما عمل خارج البيت من تجارة أو زراعة، أو عمل سياسي، أو لقاء مع الآخرين، أو غير ذلك، وكذلك يقصّ لهم ما رأى وما سمع من مختلف الأخبار، فإنه إذا عمل الآباء ذلك نضج الأولاد نضجاً

بالغاء، يؤهلهم لممارسة الحياة العملية فور تسلمهم أزمّة الأمور.
وإذا نضج الجيل بتجارب الآباء ومعلوماتهم، قفزت
الحياة إلى الأمام، فإنه لا يصرف عمره في التجارب، بل يبنى طوابق
جديدة فوق ما بناه الآباء، ولا يرتطم الخطأ والتصحيح، بل يأخذ
الطريق السوي، وبذلك يصل الجيل الثاني إلى الهدف، من أقرب
الطرق (١٠).

٧. حفظ الأولاد

من الضروري على الأبوين حفظ الأولاد عن الانحراف
العقائدي أو الخلقي، فإن الحفظ واجب شرعاً، قال تعالى: (قوا
أنفسكم وأهليكم ناراً).

وحين نقول حفظ الأولاد فليس مرادنا النصح والإرشاد
فقط بل وضمهم إلى ذلك في هيئة صالحة وتهيئة وسائل العمل
والكسب لهم وربطهم بمسجد أو مدرسة أو مكتبة أو حسينية
وتزويجهم إذا بلغوا والتماس كسب لائق بهم لهم (١١).

٨. التربية على مائدة القرآن ومنهج أهل البيت (ع)

ذلك أن القرآن كتاب حياة، فهو مجموعة متكاملة من
التعاليم الإلهية التي تكفل السعادة الدنيوية والأخروية للتجمع

الإسلامي (١٢).

ولهذا يوجه الإمام الراحل الناشئة بقوله: اهتّموا -
بحفظ القرآن الكريم - وأنتم بهذا السن اليافع لتسعدوا في الدنيا
والآخرة (١٣).

كما أن من وصايا الإمام الخالدة أن تكون في كل بيت
عادة (مجلس) أسبوعي، ذلك أن المجالس في البيوت لها أكبر التأثير
في التثقيف الإسلامي وفي الاجتماع الإسلامي، بل وفي التربية
الإسلامية أيضاً (١٤).

ويلزم اصطحاب الأطفال والنساء للمجالس الحسينية،
فعلينا أن نربيهم - الأطفال - على ولاء أهل البيت (ع) وعلى معرفة
القرآن والأحكام الإسلامية (١٥).

عن والدة المرجع الراحل

وينقل الإمام الراحل عن والدته (رحمها الله) أنها كانت
تزور الإمام الحسين (عليه السلام) في كل يوم.. ولم يفتأ لسانها
يلهج بالذكر والدعاء والصلوات.. وتواظب على الأدعية الواردة
في المناسبات.

وكان والدي (رحمه الله)، يقرأ مصيبة الإمام الحسين (عليه
السلام) لها ولأولاد في كل يوم، عن كتاب معتبر مثل (جلاء

العيون) للمجلسي (رحمه الله).

وكانت تزور الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في النجف والكاظمية وسامراء.. في المناسبات (١٦).

وهذا العمل له الأثر في نفوس الأبناء حيث يتخذون من والديهم قدوة وأسوة، ولذا تجد بعض الأطفال يقلد والده أثناء الصلاة أو ما أشبهه، ولهذا على الوالدين أن يعلموا بأن الطفل يقلد ما يقومون به من أعمال حسنة أو سيئة.

ثالثاً: كيف نتعامل مع المشاكل العائلية؟

قد تعتري العائلة حالة من التنافر أو التخاصم أو حالة من الاختلاف في أمر ما مما يعكر صفو تلك العائلة ويحيم عليها ظلام البؤس، فكيف السبيل والتصرف حيال ما يطرأ على العائلة من مشاكل؟

في هذا السياق يضع لنا الإمام الراحل جملة من الحلول، نذكر منها:

١. اللاعنف والتغاضي

مع مراعاة الحقوق والسعي الحثيث لتجنب أكبر قدر ممكن من التنافر إلا أنه قد تظهر بعض الشوائب في أجواء العائلة،

وهنا لا بُدَّ أن يتعامل الزوج مع زوجته باللين والرحمة وترك العنف وأسالبيه، والتغاضي عن أخطائها والمغفرة لها حتّى وإن كانت سيئة الخلق، فإنّ اللاعنف واللين يقودانها في النهاية إلى التراجع نحو الخير والمحبة.

وفي موضع آخر يتحدث عن خلق المداراة وما له من أثر في حل المشكلات العائلية فيقول: (لا يخفى إنّ للمداراة أثرًا كبيرًا في حفظ النظام الأسري، فالأسرة التي تسودها المداراة تجدها غالبًا ما تتجاوز المشاكل والمشاحنات... من هنا، فإنّ الروايات راحت تؤكّد على مسألة المداراة في الأسرة خاصّة مع الزوجة) (١٧).

٢. الإصلاح والمصلح

في حالة نشوب حالة من التخاصم أو المشاكل العائلية نحتاج إلى دور الإصلاح، حيث يقول تعالى: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما) النساء / ٣٥ .

ويقول الرسول الأكرم (ص): «من مشى في إصلاح بين امرأة وزوجها، أعطاه الله أجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله حقاً، وكان له بكل خطوة يخطوها وكلمة في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها».

ولهذا يقول الإمام الراحل: (فاللزام على الإنسان أن يقوم بدور المصلح مهما تمكن)، كما نحتاج إلى من يجمع الكلمة، حيث يقول أيضاً في هذا الصدد: (إن جمع الكلمة من أهم أسباب رقي الأمة، كما أن الخلاف والتفرقة من أهم عوامل السقوط).
وحبباً لو يكون في كل عائلة مرشدٌ ومصلحٌ حكيمٌ ترجع إليه العائلة لحل مشاكلها قبل أن تلجأ إلى الخارج.

٣. اللجوء إلى مؤسسات الإصلاح

من الدعوات التي ينادي بها الإمام الراحل دعوته لإنشاء المؤسسات الخيرية التي تسهم في تقدم المجتمع، وفي هذا الصدد يدعو لإنشاء مؤسسات الزواج، ومؤسسات تعنى بحل الأزمات العائلية حيث يقول: (ولا ريب أنه لو وجدت في المجتمع هيئات للإصلاح وأفراد مصلحون وجمعيات خيرية لقللوا من هذه المشكلات التي تبدد العائلة وتوجب دمار الأولاد وتنافر الأقرباء وأحياناً ينتهي إلى القتل والانتحار)(١٨).

الإمام الشيرازي (قدس سره) من النظرية إلى التطبيق

بعد هذه الجولة السريعة في فكر الإمام الراحل نقول:
إن الإمام الشيرازي لم يكن ممن ينظرون ويكتبون فقط، بل كان

ممن يلتزم بما ينظر وما يكتب التزامًا عمليًا، وضرب أروع الأمثلة في هذا المضمار، وأنقل إليكم ختامًا لمحة سريعة عما كان يمارسه الراحل مع أسرته:

(أما أخلاقه مع أسرته - من بنات وبنين - أولادًا وأحفادًا فكان يذكر بأخلاق الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

فقد كان شديد المحبة لهم جميعًا، ويظهر المحبة لبناته أكثر من الأولاد. يحترمهم، ويجلس معهم ويكرمهم، ويتعاطف مع مشاكلهم، وينصحهم، ويستنصحهم، وحتى يستشيرهم. وكان يستضيفهم بنفسه، وبإلحاح وإصرار. لم يكن يضرب أحدًا من أطفاله.. ولا يتذكر منهم أحد أنه قد تلقى الضرب منه ولو في صغره، (علمًا بأنه كان ذو أطفال عديدين، ومتقاربين في العمر).

ودائمًا كان الإمام الشيرازي يعدّ بنفسه وجبة العشاء في المنزل له ولأولاده بنفسه، حتى أواخر أيام حياته.. ولم يترك هذه العادة حتى في الصيف حيث كان منزله مكتظًا بمن يزوره من أبنائه وأحفاده من شتى الأنحاء، وكان يشترك مع أهله في إدارة شؤون المنزل خصوصًا عندما يجيء الضيوف إلى منزله.

بل وحتى بعد أن أصيب بالجلطة القلبية، قبل أربعة أعوام من وفاته لم يترك هذه العادة الحسنة.

وكان إذا مرض أحد أبنائه يمرضه بنفسه، سواءً كان صغيراً أو كبيراً. وقبل عشر سنين كان قد وضع مجلساً أسبوعياً لجمع من حضر من نساء عائلته الخاصة. لتعليم الخطابة (بما فيه من التعزية الحسينية) وكان يلقي عليهم في نهاية الجلسة محاضرة توجيهية.

وكان يجب أحفاده الصغار ويلطفهم ويمزح معهم وله مع كل واحد منهم قصة وذكرى.. وصورة تاريخية. ولم يكن يسمح لأحد من أبنائه أن يزعم الأطفال، أو يغلق عليهم الأبواب، فهم خارجون داخلون عليه، وما أكثر ما كانوا يزعمونه وهو نائم أو مشغول بالكتابة والمطالعة.. ولم يكن ينهر أحدهم أبداً، بل كان يمنع الآخرين من ذلك.

في أواخر أيام حياته اقترح أحد أولاده أن يغلق عن الأطفال باب غرفته المؤدية إلى ديوانية مجلسه ويفتح باباً خاصاً للأطفال كي لا يتخذوا غرفته المتواضعة معبراً لهم.. فرفض ذلك وقال: اترك الأمور كما هي (١٩).

وبهذا يكون الإمام الراحل أنموذجاً رائعاً للعائلة المثالية،

فهل نقندي به؟!

الهوامش:

جميع المصادر: من مؤلفات الإمام الشيرازي (قدس سره)

- (١) الأزمات وحلها ص ٣٢
- (٢) العائلة ص ٥٥
- (٣) العائلة ص ٥٢
- (٤) العائلة ص ٩١
- (٥) الاجتماع ج ٢ ص ٤٩-٥٠
- (٦) الاجتماع ج ٢ ص ٥١
- (٧) الاجتماع ج ٢ ص ٥٢
- (٨) اللاعنف في الإسلام ص ١٥١
- (٩) إلى نهضة ثقافية إسلامية ص ٨٣
- (١٠) نحو يقظة إسلامية ص ٢١
- (١١) العائلة ص ٧٧-٧٨
- (١٢) إلى الوكلاء في البلاد ص ١٠١
- (١٣) حديث مع الناشئين ص ١٥
- (١٤) إلى نهضة ثقافية إسلامية ص ١٠٠
- (١٥) إلى الهيئات الحسينية ص ١٣
- (١٦) والدتي ص ١٨
- (١٧) اللاعنف في الإسلام ص ١٤٢
- (١٨) العائلة ص ١٠١
- (١٩) في رحاب الإمام الشيرازي ص ٢٣

الإمام الشيرازي داعية الثقافة والتثقيف

لا شك أن شخصية الإنسان تتأثر بالعديد من العوامل، التي من بينها الثقافة، فالثقافة هي صانعة الإنسان، فهي تؤثر فيه وتؤطره بإطارها، والثقافة هي التي تبين للإنسان رسم الحياة، التي يمكن أن يتجنب فيها الأخطار، إلى أن يصل إلى الحياة السعيدة، والحياة التقدمية.

والثقافة هي التي ترسم للأجيال مسيرتها، وهي التي تحدد طريقة تعامل الأمة مع الأحداث والوقائع، وهي التي تعين مستقبل الأمة.

فالثقافة الإسلامية الأصيلة تجعل الأمة تسير سيراً متميزاً في الحياة فكرياً وعملياً، ونظرياً وسلوكياً (١).

والمراد بالثقافة أعمُّ من تلك التي يتعلمها (الإنسان) من بيته، أو مدرسته، أو محيطه، أو اكتسبها بفكره وتجربته (٢)، فهي

(الثقافة) عبارة عن الدين والعلم والأخلاق والرسوم والعادات ونحوها (٣).

إلى نهضة ثقافية إسلامية

لقد اهتم الإمام الشيرازي (قدس سره) بهذه المسألة اهتماماً بليغاً، ولذا تجده مؤلفاً بارعاً، محرّضاً للتأليف، وداعية لممارسة ألوان الثقيف الإسلامي، وهذا ما نجده جلياً في كتبه القيمة.

وكثيرة هي الأفكار والأطروحات التي كان يدعو لها (قدس سره)، وسنذكر لكم بعضاً منها وهي مقتبسة من كتابه القيم (إلى نهضة ثقافية إسلامية)، وقد قام بتأليفه أثناء إقامته بدولة الكويت:

١. **مكتبة في كل مكان**؛ حيث يلزم إنشاء المكتبات الإسلامية، في كل مكان: المسجد، والحسينية، والمدرسة، والدار، والدكان، والنادي، وحتى المواصلات وغيرها. فإنها زينة، وتوجب نشر الثقافة، وتشجع المؤلفين ووسائل الثقيف.

٢. **الاستفادة من المواسم**؛ سواءً كانت مواسم إسلامية، كالأعياد والوفيات وأيام الحج وشهر رمضان وأيام عاشوراء وأوقات زيارة الأئمة (عليهم السلام).

أو مواسم اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو غيرها مما يجتمع فيها الناس لأجل أمر وغاية معينة، والاستفادة منها بـ: نصب اللافتات، نشر المناشير، توزيع الكتب... وغيرها.

٣. كلمة اليوم: ينبغي لكل صاحب حانوت ومحل أن تكون عنده بعدد أيام السنة كلمات توجيهية باسم (كلمة اليوم) يضع الواحد منها كل يوم وراء الزجاج أو في مكان يمكن قراءته لمن يمر بالمحل.

وكذلك ينبغي أن تكون له (كلمة الأسبوع) و(كلمة الشهر) و(كلمة الموسم).

ولو كانت الأوراق ألواناً والخطوط أشكالاً، والكلمات مختلفات، قطعاً وطولاً ونظماً ونثرًا، كانت أجلب للنظر، وأقرب إلى التأثير.

٤. تعميم الثقافة: يلزم على العاملين في حقول التثقيف الإسلامي تعميم الثقافة الإسلامية بمختلف اللغات، وذلك يكون ضمن تخطيط شامل، مثل أن نحصي اللغات في العالم، ثم نجعل في أمهات بلاد تلك اللغات مراكز للترجمة والنشر ونصدر الكتب والمجلات إلى تلك المراكز لترجم إلى تلك اللغات وتشر.

٥. الثقافة لجميع المستويات: يجب أن تعمم الثقافة الإسلامية لمختلف المستويات، آخذًا من الأطفال، فتصنع لهم الثقافة في الصور

والتماثيل الورقية والكرتونية والحلويات وما أشبهه، مثل أن تصب صورة الكعبة من الشكولاتة - مثلاً- إذا كان ذلك مناسباً. وانتهاءً إلى أعظم المثقفين والعلماء، ومروراً بطلاب المدارس، والعوام والأميين الذين لا يكتبون ولا يقرؤون.

٦. **نشرات مدرسية:** ينبغي أن تعلق في المساجد والحسينيات وأمثالها نشرات مدرسية تكتب فيها مختلف المقالات الإسلامية في أسلوب جذاب، يقرؤها من يرتاد هذه الأماكن. وكذلك في المشاهد المشرفة، على أبواب الصحن والكشوانيات ونحوهما.

٧. **أسبوع التثقيف:** ينبغي أن يجعل في كل عام أسبوعاً للتثقيف، يقوم فيه حملة الإسلام بحملة واسعة النطاق في القرى والأرياف والمدن بكل الوسائل والسبل لأجل نشر الإسلام والفضيلة، وتركيز دعائم الإيمان.

فإن مثل هذا العمل خليق بإيجاد جو مفعم بالحركة والنشاط المثمر لأفضل الثمار في حقول العقيدة والعمل.

الطموح غير المحدود في التثقيف

تمتاز شخصية الإمام الشيرازي (قدس سره) بميزة التطلع والطموح غير المحدود، وتتجلى هذه الصفة في العديد من جوانب حياته، وفي مجال التثقيف يدعو (قدس سره) إلى تأليف ألف مليون

كتاب، فيقول: أقل تقدير يجب أن يهتم به في عالم نشر الكتب، هو ألف مليون كتاب في مختلف الجوانب الإسلامية، وبمختلف المستويات واللغات، فإن الإسلام قد اختفى تحت ضباب كثيف من الجهل والغموض والإثارات ضده، ولا يمكن إخراجه منه إلا بتعميم العلم به، ومن طرق تعميم العلم به، الكتب المينة لمختلف جوانبه، فإن أعداء الإسلام والجاهلين به نشروا أضعاف هذا العدد من الكتب لمحاربته والتنقيص منه، وإذا لوحظ -بالإضافة إلى ذلك - الكتب والمجلات المصادمة للإسلام من غير قصد كان العدد أضعاف ذلك (٤).

وفي كتاب آخر يحمل عنوان (ثلاثة مليارات من الكتب) الذي يعبر عن تلك المهمة العالية وذلك التطع العالي جداً، ويعتبر (قدس سره) هذا العدد (حيلة العاجز وأقل الإيمان لمن يريد إنقاذ المسلمين من هذا السقوط الذي لا مثيل له في تاريخ الإسلام الطويل، وإلا فالوسائل الحديثة من الآلات السمعية والبصرية والصحف والمجلات والانترنت والأقمار وما إليها، كلها وسائل العصر للثقافة والإعلام ومن الضروري الاستفادة منها).

نشر الثقافة الإسلامية في البلاد الأجنبية

كما أنه (قدس سره) يدعو لنشر الثقافة الإسلامية في بلاد

الغرب؛ وذلك لوجود الملايين من المسلمين في تلك البلاد، وهم بحاجة إلى الوعي والثقافة الإسلامية الصحيحة، ولذا لا بُدَّ من:

أ. تثقيف ملايين المسلمين المقيمين في البلاد الأجنبية.

ب. تأسيس وتكوين محطات الإذاعة والتلفزة، والمجلات والصحف.

ج. تأسيس مؤسسات التبليغ الإسلامي في كل دولة أجنبية، وتكون مهمة كل مؤسسة تكوين فروع وممثلين عنها في كافة أنحاء الدولة، ليكونوا على أقل تقدير ألف ممثل وفرع، مهمتهم بيع ونشر وتوزيع الكتب والمجلات. وإلى جانب ذلك يقومون بمهمة الاتصال بشعوب تلك البلاد ومثقفها وتكوين علاقات معهم مقدمة هدايتهم وتوجيههم (٥).

من ذاكرة الإمام الشيرازي مع الكتاب

وللإمام الشيرازي تاريخ مشرق في هذا الجانب فهو منظرٌ للتثقيف ومطبّق له أيضاً، يقول (قدس سره) متحدثاً عن مشاريعه التثقيفية التي عانت الولايات من النظام البائد في العراق: (وقد فتحت شخصياً في كربلاء المقدّسة (١٥٠) مكتبة للبيع والمطالعة أغلقتها جميعها حكومة البعث وصادرت كل كتبها، كما أغلقت وصادرت سبعين مكتبة بيع افتتحناها في مختلف البلاد العراقية

فرعاً لدار نشر القرآن الحكيم في كربلاء المقدسة التي صودرت كتبها أيضاً.

وقد جدّد حزب البعث سنّة الأولين فأخذ جملة من كتبي المخطوطة لعلّها تصل إلى خمسين وجعلها قطعة قطعة، كما ألقى بجملة من كتبي المطبوعة في الشارع أو ما أشبه ذلك.

كتيب (من هم الشيعة) وماذا صنع؟

ينقل الإمام الشيرازي (قدس سره) في كتابه (الكتاب دعامة الحياة) هذه القصة متحدثاً عن العمق والأثر الكبير الذي يتركه كتيب صغير الحجم فيقول: إنني ألفت كتيباً بعنوان «من هم الشيعة» وكان ذلك قبل أربعين عاماً تقريباً. وبعثت به إلى الحجّ ليطلع عليه من غمرتهم الحركات المضلّة بدعاياتها ويعرفوا أنّ ما سمعوه عن الشيعة على لسان أعدائهم لا حقيقة له، لعلّ ذلك يكون سبباً لرجوع الأخوة الإسلامية.

وبالفعل، فقد أخبرني أحد الأصدقاء الذين حملوا عددًا من نسخ هذا الكتاب إلى مكة المكرمة، فقال: عندما كنت في المدينة المنورة احتجت إلى الحمام، فذهبت إليه، وإثر خروجي منه أعطيت الحمامي -بالإضافة إلى الأجرة- نسخة من هذا الكتاب.

فلما قرأ اسم «الشيعة» عليه غضب غضباً شديداً ورمى

الكتاب بكلّ انزعاج على الأرض. فخرجت ولم أقل شيئاً.
وبعد أيام احتجت إلى الحمام مرّة ثانية، واضطرت إلى
الذهاب إلى نفس الحمام، ودخلت بحالة اختفاء، فرأيت الحمامي
نفسه جالساً عند الصندوق، وحينما أردت الخروج خفية بعد تقديم
المال إليه، التفت إليّ ولم يأخذ منّي، فتعجّبت كثيراً وتصورت أنّه لم
يعرفني وقلت له: هذه أجرّة الحمام فلماذا لا تأخذها؟

قال: بعد أن ذهبت في المرّة السابقة أخذت أطلع الكتاب
بكلّ كراهية وحذر، وإذا بي أقرأ أشياء معكوسة عمّا هو شائع
عن الشيعة عندنا، فالشيعة إمّا هم المسلمون وحدهم أو هم أحد
المذاهب الإسلامية؟ فحقّقت عن الأمر فتبيّن لي إنّ الشائع عندنا
كان كذباً وزوراً وبهتاناً، فغيّرت رأيي في الشيعة.

هكذا هو الإمام الشيرازي (قدس سره) مثقفاً وداعية
للتثقيف، ومؤسساً لمشروع نهضوي ثقافي شقّ طريقه في شريان
الأمة الإسلامية، وله نظريات سبقت عصرها، وها هي اليوم
تتحقق، عبر العديد من الصور والأشكال.

الهوامش:

- (١) السبيل إلى إنباض المسلمين ص ٣٢، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، دار المنهل، بيروت - لبنان.
- (٢) الاجتماع ص ٨١ الطبعة السادسة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، دار العلوم، بيروت - لبنان.
- (٣) الاجتماع ص ١٠٢ الطبعة السادسة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، دار العلوم، بيروت - لبنان.
- (٤) نحو يقظة إسلامية ص ٣٤، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، دار العلوم - بيروت، لبنان.
- (٥) السبيل إلى إنباض المسلمين ص ٣١، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، دار المنهل، بيروت - لبنان.

كيف نحي الذكرى السنوية

لرحيل المرجع الشيرازي (قدس سره)؟

عندما توفي الإمام المرجع الشيرازي قلت لأحد الخطباء الأعداء: لماذا يا شيخنا لا تخصص ثلاث ليال من شهر رمضان للحديث عن السيد الشيرازي، عن فكره، عن شخصيته، عن خلقه، عن ... أشياء كثيرة يمكنك الحديث عنها... ثم إن بعض المجالس ممن يحبون السيد الشيرازي وتربوا على أفكاره ...
أجابني: فكرة جميلة ...

نعم، هناك أفكار كثيرة في هذا المجال، أذكر بعضاً منها:

١. القيام بعمل ختمة قرآنية وإهداء ثوبها لروح الإمام الشيرازي المقدسة، ولتكن هذه الختمة في شهر رمضان.
٢. عقد مجلس حسيني تأبيني في ذكرى وفاة الإمام الراحل في كل منطقة ويبقى تاريخ هذا المجلس ثابتاً على مر السنين.
٣. عقد مؤتمر موحد يضم أكبر عدد من لجان المنطقة.
٤. تبني طباعة أحد كتب الإمام الراحل وليكن تحت عنوان (الكتاب السنوي) وتوزيعه في ذكرى الرحيل.



من كلمات الإمام الشيرازي قد سره الشريف

إذا نضج الجيل بتجارب الأباء
ومعلوماتهم قفزت الحياة إلى الامام
لأنه سوف لن يصرف عمره في
التجارب بل يبني طوابق جديدة
فوق ما بناه الأباء

إن الاسلام هو دين المحبة والألفة,
ودين الروابط الحسنة والعلاقات
الأخوية الصادقة وهو دين الأخوة
بما للكلمة من معنى

أن التجديد يبدأ من النفس
الإنسان فإنه إذا لم يصلح الإنسان
نفسه لا يمكنه إصلاح غيره من بني
نوعه أو المحيط المتعلق به